Gleams of Islamic Civilization
Vol.1, No.2, March 2024, 167-192
(DOI) 10.22034/sic.2024.448911.1099

The Role of Women in the Development of Intellectual Life: The Example of the Idrisid State

Mohammad Reza Heidari Khorasani[1]
Zahra Rooholahi Amiri[2]

(Received: 2024 March 16; Accepted: 2024 May 07)

abstract

The Idrisid State is considered the first Shia state, characterized by unique features that set it apart from other states. The flourishing and continuity of this Shia state can be attributed to various factors, including the attention given to the Muslim Idrisid woman and the incorporation of women's views and orientations in the governance of the state. The extent of women's influence during the Idrisid era is measured by the degree to which rulers followed and obeyed women, as well as the openness of the community to their presence. Based on this perspective, this research paper seeks, through a descriptive-analytical method and relying on bibliographic historical sources, to explore the components and manifestations of the emergence of women's thought in the Idrisid state as the first Shia state. It aims to shed light on the reasons and factors that facilitated women's presence in the political arena, implicitly demonstrating that Shia individuals from the early Islamic centuries did not oppose women's participation in society and their active involvement in political decision-making. In fact, they were committed to ensuring their freedom within the Idrisid state, which was the first to showcase the foundations and manifestations of Shia thought in practice. The findings indicate that women, under the Idrisid state, played a vital and effective role in intellectual life across various domains, including culture, economy, scientific advancement, architectural art, and the system of power and authority.

Keywords: Idrisid dynasty, Shiite state, intellectual life, women's place, women's role.

1. MA student, Islamic History, Baqir al-Olum University, Qom, Iran.
Email: angel23121376@gmail.com
2. Assistant professor, Department of History, Baqir al-Olum University, Qom, Iran.
Email: z.rooholahiamiri@yahoo.com

أضواء الحضارة الإسلامية
المجلد ١، العدد ٢، خريف وشتاء ١٤٠٣هـ.ش / ٢٠٢٤م، ص ١٦٨ - ١٩٢

دور المرأة في تطوير الحياة الفكرية
الدولة الإدريسة أنموذجا

محمدرضا حيدری خراسانی[١]
زهراروح اللهی امیری[٢]

[تاريخ الوصول: ١٤٠٢/١٢/٢٦هـ.ش؛ تاريخ القبول: ١٤٠٣/٠٢/١٨هـ.ش]

الملخص

تعتبر دولة الأدارسة أول دولة شيعية تتميز بميزات خاصة تجعلها فريدة من نوعها. إن ازدهار هذه الدولة الشيعية واستمرارها مما يعزى إلى مختلف العوامل والأسباب، بما في ذلك الاهتمام بالمرأة المسلمة الإدريسية وتوظيف آرائها وتوجهاتها في إدارة الدولة. يتمثل مدى تأثير المرأة في العهد الإدريسي، في قياس مدى اتباع الحكام للمرأة وطاعتهم لها، وكذلك مدى انفتاح الآفاق لحضورها على مستوى المجتمع. من هذا المنطلق، تسعى هذه الورقة البحثية المتواضعة. متبعة المنهج الوصفي. التحليلي، وبالاعتماد على المصادر التاريخية الببليوغرافية، أن تتعرج على مقومات ومصاديق نشوء فكر المرأة في الدولة الإدريسية كأول دولة شيعية، وأن تلقي الضوء على أسباب وعوامل حضور المرأة في المسرح السياسي، وأن تثبت ضمنيا أن الشيعة منذ القرون الإسلامية الأولى، ما كانوا يخالفون حضور المرأة في المجتمع ومشاركتها الفعالة في صنع القرارات السياسية، بل كانوا يحرصون على حريتها في الدولة الإدريسية كأول دولة تتعرج على مقومات ومصاديق نشوء فكر شيعية على أرض الواقع. تظهر نتائج الدراسة أن المرأة في ظل الدولة الإدريسية كان لها إسهام حيوي وفعال في الحياة الفكرية في كافة مجالات الحياة، بما في ذلك الثقافة، والاقتصاد، والنمو العلمي، وفن العمارة، ونظام القوة والسلطة.

الكلمات المفتاحية: الأدارسة، الدولة الشيعية، الحياة الفكرية، مكانة المرأة، دور المرأة

---

١. طالب ماجستير في قسم تاريخ الإسلام، جامعة باقر العلوم، قم، إيران (الكاتب المسؤول) angel23121376@gmail.com
٢. أستاذة مساعدة في قسم التاريخ، جامعة باقر العلوم، قم، إيران z.rooholahiamiri@yahoo.com

١. المقدمة

مرت القرون الإسلامية الأولى بتحديات وأزمات كثيرة، بما في ذلك الثورات العلوية المتعددة التي أشعل نيرانها المضطرمة أبناء علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، وخاصة الفرع الحسني الشريف، ضد الحكومات الظالمة والدول المضطهدة آنذاك. من اللافت أن الدولة الإدريسية الشيعية نشأت على عقب إحدى هذه الثورات الدامية.

كان ينحدر إدريس بن عبد الله، مؤسس الدولة الإدريسية، إلى الإمام الحسن (عليه السلام) عبر واسطتين (القلقشندي، د.ت، ص١٥٩). بعد إخماد نيران ثورة الفخ والقضاء عليه، لاذ إدريس بالفرار من المدينة هاربا من القتل، وتوجه برفقة الحجاج المصري إلى المغرب الأقصى، وبعد أن استقرت له الأمور، قام بتشييد الدولة الإدريسية فيها في سنة ١٧٢ للهجرة (الأصفهاني، د.ت، ص٢١). تعتبر الدولة الإدريسية أول دولة شيعية مستقلة أحدثت تغيرات جذرية في أقاليمها الخاضعة في المغرب الأقصى، بعد أن وصلت إلى سدة الحكم. لقد صار مذهب الأدارسة محل نقاش وخلاف كبير بين المؤرخين والباحثين، بيد أن غالبية عظمى من الباحثين والدارسين المعاصرين يعتقدون أنهم كانوا على المذهب الزيدي الشيعي.

مهما يكن من شيء، فإن المرأة لها مكانة شامخة في الدين الإسلامي والمجتمع العالمي الراهن. فإن كما هائلا من المجتمعات البشرية الماضية كانت تستغل المرأة كعنصر مستهلك للمنتجات من أجل تقدمها المادي، وكانت تنظر إليها كطاقة احتياطية في حالات الطوارئ. عبر هذه النظرة الآلية إلى المرأة، استطاعت هذه المجتمعات أن تحقق إنجازات هائلة، وأن تشهد تقدما اقتصاديا وصناعيا سريعا في أرض الواقع. ولكن الفكر الإسلامي يعتبر المرأة عنصرا فعالا وحيويا يتحمل عبء التربية والتنشئة في المجتمع، ويراها محورا رئيسا للأسرة وقلبها النابض. بغض النظر عن القضايا والأبحاث النظرية، فإن الحكومات الإسلامية قد تركت وراءها تاريخا مشرقا من فهم المكانة الفكرية للمرأة في المجتمع وتوفير الفرص لها للمشاركة بفعالية في كافة مجالات الحياة.

انطلاقا من ذلك، فتروم هذه الدراسة البحثية المتواضعة، متبعة المنهج الوصفي-التحليلي، وبالاعتماد على المصادر والمراجع التاريخية، أن تلقي الضوء على مقومات ومصاديق نشوء فكر المرأة المسلمة في فترة حكم الدولة الإدريسية باعتبارها أول دولة شيعية في المعمورة، وأن تتناول الردود العامة على دور المرأة الفكري في جميع مفاصل الأنشطة المهمة في الدولة الإدريسية، وأن تتوقف عند مساهمة المرأة الفكرية والعقلية في صنع السياسات واتخاذ القرارات المهمة، وأن تتعرج على مدى تأثر الحكام الأدارسة بفكر المرأة وعقلها. إن المعادل اللاتيني للفظة «الفكر» بالمعنى العام اليوم هو «Thought». فإن الفكر قوة تهدي الجاهل إلى المعرفة، وإن التفكير مكان الجولان لهذه القوة (رضانيا، ١٣٩٣هـ.ش، ص٢١). فإن التفكير ضرب من السير في المعلومات المتوفرة لاكتشاف المجهولات وفك الرموز واستكناه الحقائق. وأما الحياة الفكرية للمرأة في هذه المحاولة العلمية، فيتحقق معناه على ثلاثة مستويات: ففي المستوى الأول، تعني أن المرأة تفرض عصارة أفكارها وخلاصة تجاربها الناجمة عن دافع خارجي، على مقدرات المجتمع الإدريسي، الأمر الذي يحدو بالمرأة إلى أن تنفذ فكرها في أرض الواقع؛ وفي المستوى الثاني، تقصد أن المرأة تعبر عن أفكارها وآرائها، وأن الطبقتين الدنيا والعليا تخضعان لنفوذها وسلطتها؛ وفي المستوى الثالث، يراد بها المحافظة على مصالح حياة المرأة ومطالبها العليا وتوفير الرفاهية والرغد لها، مثل ما نشهد في الهندسة المعمارية الحضرية. من اللافت أن الحالة الأخيرة تندرج ضمن حياة المرأة الفكرية من باب التسامح والتساهل.

١.١. خلفية البحث

أما بالنسبة إلى الدراسات السابقة، فلم نعثر-حسب حدود علمنا-على دراسة مستقلة بهذا العنوان، غير أن هناك بعض الدراسات التي تطرقت إلى بعض أجزاء هذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته وتحليله، منها ما يلي:

كتاب زنان خاندان عصر تيموری (= نسوة سلالة العصر التيموري)، لليلا محمدي. ومقالة دولت ادريسيان: تاريخ سياسی، اجتماعی، اقتصادی و فرهنگی (= دولة الأدارسة: تاريخها السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي)، لعصمت برزگر ومحمد علي چلونگر، وكذلك مقالة بررسی وضعيت سياسی، اقتصادی، اجتماعی واداری ادريسيان (= دراسة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإداري للأدراسة)، لطيبة حاجي قاسمي. لقد قدمت هاتان المقالتان القيمتان في بعض فصولهما، مباحث متناثرة وغير مباشرة حيال المرأة، تتعلق عادة بامرأة تدعى كنزة، أو تنحصر في ذكر مؤسس جامع القرويين، وغالبا تتعلق بوصف ذلك المسجد وبيان ميزاته.

ولعل من أقرب الدراسات إلى موضوعنا هذا هي الدراسة التي قام بها محمد رضا حيدري خراساني وحامد قرائتي بعنوان تاريخ المرأة الاقتصادي في المغرب: أثناء عهد الأدارسة، وكذلك مقالة جايگاه اجتماعی زنان در دوره ادريسيان (= مكانة المرأة الاجتماعية في العهد الإدريسي)، للباحث الأول. لقد تناولت هاتان المقالتان ممارسة المرأة للأنشطة الاقتصادية في مسرح المجتمع الإدريسي.

وأما من الدراسات الأخرى التي تقترب من موضوع بحثنا هذا، فيمكن الإشارة إلى گونه‌شناسی فضاهای باز عمومی مدينه در دو شهر فاس و مكناس (= دراسة تصنيف المساحات العامة المفتوحة في مدينتي فاس ومكناس)، لشينا برنجي. لقد تطرقت المقالة إلى المساحات المفتوحة الموجودة في مدينتي فاس ومكناس على أساس المشاهدات الميدانية، وتحدثت عن إحدى هذه المساحات المفتوحة تحت عنوان المساحة المفتوحة المجاورة، واستنتجت أن الهندسة المعمارية لهذه المساحة وبناءها، مما يحكي عن الفكر المذهبي السائد في مجتمع تلك الأيام للحفاظ على خصوصية المرأة.

وكذلك يمكن الإشارة إلى مقالة فرهنگ و تمدن اسلامی در مغرب: دوره ادريسی و جايگاه تمدنی ادريسيان (= الثقافة والحضارة الإسلامية في المغرب الأقصى: الفترة الإدريسية

والمكانة الحضارية للأدارسة)، لمحمد رضا شهيدي نژاد. لقد تطرقت المقالة، علاوة على دراسة الحضارة الإدريسية، إلى المكانة الاقتصادية والسياسية للمرأة بصورة مقتضبة. مع الأسف، أن المصادر المعاصرة قد انصب تركيزها على الأداء السياسي والهوية المذهبية للأدارسة، دون الاهتمام بعنصر المرأة كعنصر إنساني رائد وفعال في ساحة الدولة الإدريسية. خلاصة القول، فيمكن أن نقول إن الموضوع المطروق يتسم بالأصالة والجدة والموضوعية. إن معالجة علاقة عنصر المرأة بسائر مقومات البنى الاجتماعية وأنظمة استدامة الدولة واستقرارها، وسبر أغوار العلاقات السائدة بينهما، أمر مهمل بشكل عام في الدراسات التاريخية الإسلامية. تسعى هذه المحاولة العلمية أن تسلط الضوء على دور المرأة الفكري في المجالات المختلفة، بما في ذلك صنع القرار على مستوى الثقافة والمجتمع، و إعطاء الاقتراحات الفكرية للحكام ورجال الدولة فيما يتعلق بالعلاقات والشؤون الاجتماعية، الأمر الذي لم يسترع اهتمام الباحثين والدارسين ليس فقط حول الدولة الإدريسية، بل أيضا حول الدول الشيعية الأخرى.

نظرا إلى قلة الدراسات القريبة من موضوع البحث بشأن الدولة الإدريسية ودور المرأة فيها، وخاصة غياب المصادر المتخصصة القديمة والمعاصرة فيما يتعلق بالتاريخ الفكري للمرأة في هذه الفترة، فلم يتوفر الأساس لبدء دراسة معمقة وشاملة في الموضوع المدروس. فكان ذلك إحدى الصعوبات والعراقيل واجهتنا في كتابة هذه الورقة البحثية المتواضعة. تنقسم المصادر الببليوغرافية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة، إلى ثلاث طبقات: فالطبقة الأولى تشتمل على المصادر المتخصصة التي تعالج دولة الأدارسة وعاصمتهم مدينة فاس، وتنطوي على الدراسات والأبحاث المعاصرة التي قد قامت باستكشاف المزيد من الأبعاد والمتغيرات في تلك الفترة، وتجنبت التعميمات التي تتطلب توسيع الحدود الزمكانية.

أما الطبقة الثانية، فتضم المصادر التي ترسم التاريخ في إطار جغرافي أوسع من الدولة الإدريسية وفي فترة زمنية تتجاوز الفترة الإدريسية. فعلى سبيل المثال، قد تزاول بعض المصادر عدة الحكومات الناجحة في المغرب الأقصى، أو تقوم بمقارنة بين الحكومات العلوية في القرون الإسلامية الأولى.

وأخيرا، تحتضن الطبقة الثالثة، المصادر العامة التي تتعلق في معظمها بالمصادر الأصلية وكتب تاريخ الحضارة والجغرافيا، وكذلك الكتب المتعلقة بالترحال، والتي لا تتقيد بزمن أو مكان معينين، وتشير إلى دولة الأدارسة في تضاعيف فصولها.

فيما يلي، سنتناول بعض المصادر المستخدمة في كل طبقة من مصادر البحث:

من أهم مصادر الطبقة الأولى، يمكن الإشارة إلى كتاب سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني (م ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م). يتناول هذا الكتاب الشخصيات البارزة التي عاشت في مدينة فاس وواراهم التراب هناك. لا يتناول المؤلف ترجمة حياة امرأةٍ ما، ولا يعطينا معلومات قيمة حول حياتها إلا قليلا، بل يكتفي بإعطاء معلومات خاصة ونادرة عن المكانة الاجتماعية للمرأة في تلك الفترة المدروسة في تضاعيف تراجم الرجال.

ومقالة إدريس الإمام منشئ الدولة وباعث دعوة، لعبد اللطيف السعداني. تتطرق هذه المقالة إلى وضع المرأة في فترة ما بعد إدريس الأول، وينصب تركيزها على حياته وأحواله قبل وأثناء وبعد وصوله إلى السلطة والقوة.

وكتاب دولة الأدارسة في المغرب: العصر الذهبي (٧٨٨ ـ ٨٣٥)، لسعدون عباس نصر الله (١٤٠٨ ـ ١٩٨٧م). يتحدث هذا الكتاب القيم عن حكومة الأدارسة بإسهاب وتفصيل، وينصب على عناصر الحضارة في الفترة المدروسة، حيث قد شد انتباه ثلة كبيرة من الدارسين والباحثين من بعده، بيد أنه لا يعتني بعنصر المرأة في تلك الفترة

الذهبية، إلا في مجال الشؤون الاقتصادية والحياة القبلية. لا يفوتنا أن هذا الكتاب مثل معظم المصادر المتعلقة بالدولة الإدريسية، يشير إلى زوجة إدريس الأول، كنزة، بصورة مقتضبة.

وأما من جملة مصادر الطبقة الثانية، فيمكن الإشارة إلى كتاب تاريخ المغرب وحضارته، لحسين مؤنس. في هذه الأثناء، توجد هناك بعض المصادر التي تتركز على موضوعات أخرى غير الحياة الفكرية للمرأة، نحو أنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لابن أبي زرع الفاسي (م ١٣٢٦م)، وكتاب البيان المغرب في اختصار أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي (م ٨٠٠م)، وكتاب دولة التشيع في بلاد المغرب، لنجيب زبيب (م ١٤١٣هـ)، وكتاب أعمال الأعلام: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، للسان الدين بن الخطيب (م ١٣٧٤هـ)، وكتاب تاريخ التمدن الإسلامي، لجرجي زيدان (م ١٩١٤م)، وكتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب، لأحمد بن خالد السلاوي الناصري (م ١٨٩٧م).

في الطبقة الثالثة، يمكن الإشارة إلى الكتب الشهيرة، نحو: تاريخ الأمم والملوك، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ومقاتل الطالبيين وأخبارهم، والعبر وديوان المبتدأ والخبر، والكامل في التاريخ والبلدان. تتناول هذه الكتب القيمة دولة الأدارسة بشكل عابر، دون التعمق في شؤونهم وأوصافهم وأطوارهم، ولا تتناول الموضوع المدروس إلا بندرة.

٢. الحياة الفكرية في الساحة الثقافية

أسهمت المرأة في الفترة الإدريسية إسهاما فعالا في تقوية الروح الدينية و إشاعة السلوكيات العفيفة الاجتماعية. عندما نلقي نظرة تأملية على دور المرأة في الفترة المدروسة، نجد أن المرأة كانت ناجحة في فرض إرادتها على المجتمع الإدريسي، وتحديدا على الطبقة العليا. نسعى في هذا القسم أن نناقش ما يندرج ضمن هذه الحياة الفكرية.

١.٢. التربية الدينية والقيادة الفكرية

نظرا إلى مكانة المرأة في المجتمع وملامحها وخصائصها، فقد لعب عنصر المرأة دورا معنيا في الحفاظ على القيم والمبادئ السائدة في المجتمع، وساهمت مساهمة إيجابية في تقديم نماذج ناجحة لأفراده بغية الاحتذاء بها واتباعها على امتداد التاريخ. من أكبر نسوة الفترة الإدريسية، هي كنزة. زوجة إدريس الأول. فهي كانت تنشط في كافة مجالات الحياة، ولم تدخر جهدا في تقديم النصح والاستشارة لرجال الدولة، حتى فارقتها الحياة في فترة حكم حفيدها، محمد بن إدريس الثاني (ابن خلدون، ١٣٦٣هـ.ش، ج ٣، ص ١٧). لقد أشارت المصادر التاريخية بوضوح إلى مكانتها المرموقة بين برابرة المغرب الأقصى وخضوعهم لإرادتها، ووصفتها بأنها مثلا أعلى لنساء المغرب اللواتي كن يتطلعن إلى تقليدها في تربية وتنشئة أبنائهن (نصر الله، ١٤٠٨هـ، ص ١٣٧). فإن هذه المرأة النشطة، بعد أن تزوجت من إدريس الأول، صارت زعيمة قبيلتها، وتميزت بميزات فريدة جعلتها فريدة من نوعها، نحو العقل، والحصافة، والحنكة، والدين، لدرجة أنها سمّيت بتابعة كتاب الله وسنة الرسول (الكتاني، ١٣٨٥هـ، ج ١، ص ٧٤).

عندما نتصفح تاريخ دولة الأدارسة، نجد بين طياتها ما يؤكد لنا أن الأبناء الصغار وولاة العهد وأحفاد كنزة كانوا تحت كفالتها ورعايتها من أجل تعلم البيئة القبلية لبرابرة المغرب وتأهيلهم لتولي مناصب قيادية في الدولة، الأمر الذي يمثل مدى المكانة الفكرية لهذه المرأة، وكذلك مدى أثرها على مستقبل البلاد (خزعل، ١٤٢٢هـ، ص ١٨٣). لا يخامرنا شك أن إلحاحها على متابعة شؤون الدولة ومرافقة قبيلتها لها، مما أدى إلى التفاف البرابرة حول إدريس وتشييد حكومة دينية استمرت زهاء ثلاثة قرون (جان أحمدي، ١٣٩٧هـ.ش، ص ١٨).

إن الملحوظة هنا أن إدريس الأول قتل بعد مدة قصيرة من إتيانه إلى المغرب الأقصى، وأن كنزة استطاعت المحافظة على سيادة الفكر الزيدي وهيمنة الأدارسة على هذه المنطقة. في عصرنا الراهن، أن كنزة قد تحولت إلى مثل أعلى يمثل مواكبة مراكش للبدايات المبكرة

للدين الإسلامي (الكتاني، ١٣٨٥هـ، ج ١، ص ٧٤). بعد أن فارقت الحياة كنزة، ووريت في التراب في الزاوية الزرهونية إلى جانب زوجها إدريس الأول.

٢.٢. هياج الرأي العام إثر الإخلال بالعفة العامة والانتهاك ضد حقوق المرأة

كانت تقوم البيئة المعيشية لقبائل البرابرة ـ بشكل أساسي ـ على الحياة البدائية والقبلية. على حد قول ابن خلدون، أن القبائل البدائية ما كانت تحرص على المحافظة على الأطر والحدود الإسلامية، وما كانت ترغب في صيانة الخصوصية والقضايا المتعلقة بالعفة العامة (ابن خلدون، ١٣٦٣هـ.ش، ج ١، ص ٤١). بعد أن استتب الأمر للأدارسة، وتم تأسيس مدينة فاس، بذلت جهود جهيدة لإشاعة الثقافة العربية ـ الإسلامية وتعليمها، وأسهمت النسوة المتأدبات بهذه الثقافة إسهاما بارزا في تغيير الحياة البدوية لأهالي المغرب وتحويلها إلى مجتمع ممزوج بالثقافة الإسلامية (نصر الله، ١٤٠٨هـ، ص ١٧١)، على نحو أن عدم مراعاة العفة العامة والإخلال بها كانت له عواقب وخيمة. في حوالي سنة ٢٥٠ للهجرة القمرية، أي زهاء ٧٠ سنة بعد بناء مدينة فاس، تحكي بعض التقارير التاريخية عن بناء حمامات للمحافظة على الحقوق الجنسية للمرأة وصيانة العفة العامة آنذاك (لسان الدين بن الخطيب، ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص ٣٧٧).

إن ازدهار الثقافة العامة في ظل دولة الأدراسة كان على حد عندما خدش أحد الحكام حرمة أحد هذه الحمامات، هاج الرأي العام المغربي وماج، واشتعل غضبا وحزنا، وشن حملات هائلة عليه، وأجبره على ترك الإقليم الخاضعة لسلطته. بعد عدة أيام، سار خبر وفاته بين الناس (المكناسي، ١٩٧٣م، ص ٥٣٤). إن نساء المغرب، وإن لم يتركن أثر مباشرا على توجيه هذه الثورة وإشعال نيرانها، إلا أننا أدرجنا هذه الثورة ضمن حياتهن الفكرية؛ ذلك لأن الرأي العام جرح عقب هذا الحدث المتعلق بالمرأة، وأن ردود أفعالهن العفيفة وفرت أرضية خصبة لإثارة الضجة العامة، وأن هذه التطورات السياسية كان تدور حول المرأة.

٣.٢. إشاعة فكر العفة والحياء عمليا

انطلاقا من بعض التقارير التاريخية المرتبطة بالجو العام السائد في مدينة فاس، يبدو أن ضربا من العفة العامة كان قد هيمن على هذه المدينة، وأن النسوة كن يبتعدن عن الاختلاط بالرجال والخلوة معهم. فعلى أساس إحدى الحكايات القديمة لمدينة فاس، بعد أن عاد أبو جيدة من العلماء والعرفاء المشهورين في القرن الثالث للهجرة، من المشرق إلى هذه المدينة، خرج أهل فاس كلهم للقائه إلا من شذّ، فكان الرجال في ناحية والنساء في ناحية أخرى؛ فسأل عنهن، فقيل له: خرجن فرحا وإجلاله له، فقال: «اللّهم لا تُشقهن»، فلم تزل دعوته فيهن إلى الآن. فلم يزل نساء فاس لا يخدمن أنفسهن، وإنما هن في النعيم الأبدي ببركة دعوته (الكتاني، ١٣٨٥هـ، ج ٣، ص ١١٥).

نظرا إلى دعاء أبي جيدة للنساء دون الرجال وغياب رواية تاريخية تدل على وجوب مراعاة هذا السلوك الاجتماعي من قبل الحكومة، فيمكن أن ندعي أن هذه الحكاية التاريخية تعكس مدى نفوذ المرأة الثقافي في المجتمع المغربي ومحاولتها الواعية لإشاعة سلوك أعلى بين أهاليه في القرن الثالث للهجرة. خلاصة القول، أن المرأة المغربية في ظل دولة شيعية استطاعت أن تترك أثرا فكريا وثقافيا باهرا على المجتمع الذي كان قد مر بثقافة بدائية وقبلية في الماضي.

٣. الحياة الفكرية في الساحة الاقتصادية

١.٣. التوجيه الفكري لإنفاق الأموال الخيرية في بناء المسجد

في أواسط القرن الثالث للهجرة، بسبب الازدهار والانتعاش الذي شهدته دولة يحيى بن محمد بن إدريس الثاني خلال الفترة الممتدة من سنة ٢٣٤ إلى ٢٤٩ للهجرة، قصد الناس مدينة فاس من شتى الأقطار والأمصار الإسلامية. اتفق أن فاطمة بنت محمد الفهري المعروفة بأم البنين، هاجرت من القيروان إلى فاس، ونزلت مع أسرتها في عدوة القرويين.

فهي كانت امرأة غنية كان قد ترك لها أبوها ثروة هائلة (حيدري وقرائتي، ١٤٠١هـ.ش، ص ٥٨). وفقا لقول ابن خلدون، أنها قصدت إنفاق أموالها في الأمور الخيرية، فقامت بالعديد من الأنشطة خلال إقامتها في المدينة، بما في ذلك تشييد جامع في عدوة[١] القرويين سنة ١٤٥ للهجرة (١٣٦٣هـ.ش، ج ٣، ص ١٩). جدير بالذكر أن فاطمة الفهرية أنبطت بصحن المسجد بئرا شرابا للناس، ونقلت إليه الخطبة من جامع إدريس لضيق محلته وجواريته (المصدر نفسه).

مما يسترعي الانتباه أن الحرص على صرف الأموال الخيرية في بناء المسجد وازدهاره، كان سنة مباركة أشاعتها فاطمة الفهرية في مدينة فاس. دون شك أن هذه السنة الطيبة تركت أثرا فكريا هائلا على كيفية إنفاق النذورات المالية وتنظيم الأنشطة الخيرية الاقتصادية في تلك الحقبة الزمنية؛ ومرجع ذلك أن بناء هذا المسجد حثّ رجال الدولة والناس العاديين أن ينفقوا أموالهم ونذوراتهم، علاوة على بناء الأماكن الأخرى، في بناء المسجد (دارل ولاكانز، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٣٧)، لدرجة أن امرأة أخرى بعد قضاء سنتين، عمدت إلى بناء مسجد في عدوة الأندلسيين، مما لقي قبولا عاما أيضا (السائح، ١٤٠٦هـ، ص ١٥٠).

لا يفوتنا أن تشييد مبانٍ كالمساجد لم يكن مجرد فعل ديني فحسب، وإنما كان حدثا اجتماعيا كان يحمل سياقات وتداعيات اقتصادية خاصة به. فمثلا عندما نعود إلى جامع فاطمة الفهرية، والذي بدأ بناؤه في سنة ٢٤٣ هـ/ ٨٧٥ م، نلحظ أنه رغم توظيف كم وفير من العمال، والمهندسين المعماريين والفنانين في بنائه، إلا أن عمارة هذا المسجد كانت متناسبة مع الذوق المذهبي لفاطمة الفهري وتوجهاتها ورغباتها (ابن أبي زرع، ١٨٤٣م، ج ١، ص ٣٠)، الأمر الذي يُظهر دورها الفعال والحيوي في هذا الحدث المذهبي والاجتماعي والاقتصادي (المصدر نفسه).

---

١. إن لفظة العدوة تكون بمعنى الحي. انقسمت مدينة فاس بعد تأسيسها إلى قسمين: عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين (لسان الدين بن الخطيب، ١٤٢٤هـ، ج ٢، ص ٣٣٧؛ ابن خلدون، ١٣٦٣هـ.ش، ج ٣، ص ١٩).

٢.٣. تغيير موقف المجتمع الإدريسي تجاه مهنة المرأة

في القرن الثالث للهجرة، كانت صناعة الزيت والصابون شائعة في مكناس، وكانت صناعة النسيج منتشرة في مدينة تلمسان، حيث تشتهر الأقمشة التلمسانية المنسوجة من الحرير والصوف في يومنا هذا. زد على ذلك، أن المرأة كانت عنصرا أساسيا في صناعة النسيج وصبغ المنسوجات (نصر الله، ١٤٠٨هـ، ص ١٤٢). تظهر الدراسات التاريخية أن صناعات أخرى كانت شائعة في المجتمع الإدريسي في تلك الفترة أيضا، بما في ذلك صناعة الجلود، والدباغة، والسجاجيد المغربية، والأحذية الفاسية، وصناعة الأدوات المعدنية (مؤنس، ١٣٨٤هـ.ش، ج ١، ص ٣٩١؛ نصر الله، ١٤٠٨هـ، ص ١٤٠)، وكذلك أن المرأة كانت لها إسهامات فعالة في صناعة النسيج والصبغ.

يبدو أن سبب عدم نشاط المرأة في بعض الصناعات واهتمامها بصناعة خاصة دون الصناعات الأخرى، كان يعزى إلى ظروف صناعة النسيج؛ إذ كان نول السجادة يوضع في داخل البيت، وما كانت صناعة السجادة متقدمة في مدينة فاس في القرن الثالث للهجرة، حتى تضطر المرأة إلى الخروج من البيت إلى المصنع. في الفترة المدروسة، استطاعت المرأة أن تستخدم الفنون الخاصة والمواد المعدنية الخاصة في صبغ القماش والخيط، بحيث تحولت إلى عنصر أساسي في صناعة النسيج (نصر الله، ١٤٠٨هـ، ص ١٤٢).

قصارى القول، فإن حضور المرأة الناجح في صناعة خاصة دون الصناعات الأخرى، كان من أهم قرارتها الاختيارية ومن أهم مصاديق حياتها الفكرية في الساحة الاقتصادية، لدرجة أننا لا نواجه حتى نهاية الدولة الإدريسية، رواية تاريخية تعكس حضورها في صناعة أخرى. زيادة على ذلك، فلم نعثر على تقرير تاريخي يحكي عن منع ممارسة المرأة للحرف والمهن الأخرى، الأمر الذي يدل كل دلالة على أن المرأة نفسها كان له شغف كثير بصناعة النسيج؛ إذ كانت متوافقة مع نفسيتها وطبيعتها وأسلوب حياتها.

٤. الحياة الفكرية في الساحة العلمية

١.٤. إرساء قواعد جامع القرويين

كانت فاطمة القيرواني من النساء المؤثرات في العهد الإدريسي. فهي شيّدت جامع القرويين كمركز علمي كانت تقام فيه حلقات الدرس في سنة ٢٤٥ للهجرة، وقامت بوقف ثروتها عليه؛ بذلك أرست قواعد أول جامعة في العالم الإسلامي وأول بيئة علمية مركزية منظمة كانت تحتضن مجموعة غنية من المعلمين والمتعلمين المحليين (السائح، ١٤٠٦هـ، ص ١٦٢). فإن هذا الجامع الكبير بسبب تزوده بمكتبة ضخمة وإقامة حلقات الدرس فيه، تحول من بدء أمره إلى مركز علمي ذي إشعاع واسع، هذا بينما أن مسجد الأزهر تم بناؤه ١١٥ سنة بعد تأسيس ذلك (مؤنس، ١٣٨٤هـ.ش، ج ١، ص ٣٦٣).

أما في العام ١٩٦٣ للميلاد، فتحول الجامع إلى جامعة القرويين، وهي أقدم جامعة في العالم مازال التدريس فيها قائماً حتى الآن. تم إدراج المسجد في قائمة اليونسكو للتراث العالمي في عام ١٩٨١ للميلاد، كجزء من مدينة فاس (كتاب غينس للأرقام القياسية، ١٩٩٨م). لا يفوتنا أنه وفقا لبعض الإحصائيات أن جامعة جندي سابور تعد أول جامعة لامركزية مع العلماء والأساتذة غير المحليين، بيد أنها لا تكون نشطة خلاف جامعة القرويين في عصرنا هذا.

طوال القرون المتتالية السابقة، قامت شخصيات بارزة بالتدريس في هذا الجامع، وتعلمت شريحة واسعة من طلبة العلم والمعرفة فيه. فكان من المعتاد أن كبار الأساتذة والمعلمين في مختلف المجالات والتخصصات العلمية، نحو الإلهيات والتفسير والنجوم والمنطق والفقه، كانوا يجلسون في الجامع، وأن حلقات الدرس العلمية كانت تنتظم فيه، وأن الطلبة كانوا يجلسون على شكل دائري يتوسطهم الشيخ فوق سجادة للصلاة أو على كرسي مخصص له، وينهلون من مناهله العملية الغزيرة. في أغلب الأوقات، كان يقرأ أحد الطلبة كتابا، وكان الأستاذ يقوم بتفسيره (حيدري وقرائتي، ١٤٠١هـ.ش، ص ٥٩).

اتسعت رقعة هذا المسجد على مر الأيام والحكام، وتطورت مظاهره على حسب تطورات الزمن ومقتضيات الظروف والأحوال (ابن خلدون، ١٣٦٣هـ.ش، ج ٣، ص ١٩؛ الكتاني، ١٣٨٥هـ، ج١، ص ٩٢). من اللافت أن صيته لم ينحصر في المغرب وشمال أفريقيا فحسب، وإنما تعدى تخومها، وانتشر شعاعه إلى شتى أرجاء العالم الإسلامي، وحيث كان يقصده طلبة العلم والمعرفة من شتى الأقطار والأمصار، وخاصة المشرق والبلدان الأفريقية والأندلس، وكان يرتون من رحيق أفكار أساتذته الكبار. فكان ابن خلدون المؤرخ، وابن الياسمين عالم الرياضيات، وابن رشد الطبيب، وعدد من علماء اللغة، من جملة الذين تخرجوا من هذا المركز العلمي الشامخ (دارل ولاكانز، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٣٧).

لقد قيل في وصف مدينة فاس: «إن العلم ولد بمكة، وتربى بالمدينة، وطحن بمصر، وغربل بالأندلس، وأكل بفاس». فإن هذه العبارة، رغم أنها ذكرت في وصف مدينة فاس وليس جامعها، إلا أنه بما أن جامع القرويين كان يقع في هذه المدينة، فيمكن أن ندعي أن هذه العبارة كانت حصيلة الازدهار العلمي لهذا المركز العلمي. من أشهر الوجوه الإسلامية التي اغترفوا من معين هذا الجامع، يمكن الإشارة إلى ابن عربي الفيلسوف الصوفي، وابن بطوطة الرحالة والمؤرخ، وابن البناء المراكشي عالم الرياضيات (إسكالي، ١٣٧٧هـ.ش، ص ٢٥٥).

٢.٤. إرساء قواعد جامع الأندلسيين

في عدوة الأندلسيين أو الضفة اليمنى لمدينة فاس، شيّدت مريم الفهرية، شقيقة فاطمة الفهرية، جامع الأندلسيين (ابن أبي زرع، ١٨٤٣م، ج١، ص ٣٠). تحول هذا الجامع إلى مركز علمي كبير، حيث أسهم إسهاما بارزا في ازدهار العلم والثقافة، واتخذ خطوة واسعة في عالم الكتب والمصنفات والشروح العلمية، ووفر أرضية خصبة للعلماء والفضلاء المغربيين، لكي يحصلوا على الآراء المستقلة وتوطين الآراء والأفكار المغربية (السائح، ١٤٠٦هـ، ص ١٥٠).

٥. الحياة الفكرية في الساحة المعمارية

١.٥. تحمل المسؤولية والفكر المذهبي في تصميم المسجد وعمارته وبنائه

كما تقدم ذكره سالفا، أن تشييد جامع القرويين على يد فاطمة الفهرية كإحدى النسوة المؤثرات في تلك الفترة التاريخية، خلّف بركات وخيرات غزيرة للدولة الإدريسية، وكذلك الحضارة الإسلامية (ابن أبي زرع، ١٨٤٣م، ج١، ص٣٠). لكن ما يشد انتباه الباحثين هو مدى فطنة مؤسستها وذكائها ومراعاتها للشؤون المذهبية في بناء هذا الهيكل المعماري الرائع، الأمر الذي لعب دورا فعالا في نموه وازدهاره وازدياد بركته في مسار التاريخ. كما قلنا آنفا إن فاطمة الفهرية «أنبطت بصحنه بئرا شرابا للناس، فكأنما نبهت بذلك عزائم الملوك من بعدها، ونقلت إليه الخطبة من جامع إدريس لضيق محلته وجواريته» (ابن خلدون، ١٣٦٣هـ.ش، ج ١٣، ص ١٩).

وفيما تحكيه الدراسات التاريخية فإن فاطمة الفهرية اشترت موضع المسجد، وأمرت بحفر أساسه وإنشائه تحت إشراف السلطان يحيى بن إدريس الثاني، وذلك في بداية شهر رمضان المبارك، وكذلك ألّحت على أن يُبنى المسجد من تراب الأرض التي كانت قد اشترتها، والتزمت أن لا تأخذ التراب وغيره من مادة البناء إلا من نفس الأرض التي كانت قد اشترتها، وطلبت من العمال والبنائين حفر بئر من أجل شرب العاملين وأعمال البناء، كما طلبت منهم حفر كهوف في أعماق الأرض لاستخراج الرمل الأصفر الجيد والأحجار والجص لاستخدامها في عملية البناء (ابن ابي زرع، ١٨٤٣م، ج١، ص٣٠)، الأمر الذي يدل كل دلالة على مدى شعور هذه المرأة بالمسؤولية تجاه عدم دخول أي شبهة في تشييد الجامع. تروي كتب التاريخ أن فاطمة الفهرية ظلت صائمة متعبدة طيلة فترة بناء الجامع، ولم تزل كذلك حتى انتهت أشغال البناء، وكانت تصلي فيه حمدا لله وشكرا له على فضله ونعمه (المصدر نفسه، ص٣١).

٢.٥. الاهتمام بكافة المتطلبات النسائية في العمارة الحضرية

وفقا للتقارير التاريخية والدراسات الأثرية الميدانية المعاصرة، فكانت من جملة المساحات المفتوحة البارزة في نسيج مدينة فاس، هي المساحات شبه المفتوحة المسقوفة التي كانت بمثابة المساحة المشتركة بين الوحدات المجاورة. كانت تفصل هذه المساحات مع الباب أو دون الباب عن الممر الفرعي، وكانت تحدد بين عدد من الوحدات المشتركة. فكانت معظم هذه المساحات لها فتحات في الجدران مثل نوافذ دون زجاجة، وكذلك كانت مسقوفة جميعا (برنجي، ١٣٩٦هـ.ش، ص ٨). كانت الهندسة السائدة في المساحة تشير إلى الحاجات والمتطلبات المادية والجوانب الثقافية والاستعارية السائدة في أفكار البنائين وآرائهم. إن المساحة شبه المفتوحة بين الوحدات المجاورة تم إنشاؤها للمحافظة على الوجاهة وإشاعة العفة والحياء في الممرات العامة وتيسير مرور المرأة مع جاراتها. على كل حال، فإن هذه المساحة الفريدة تم العثور عليها لأول مرة في الدراسات والأبحاث الميدانية لهذه المدينة العريقة (المصدر نفسه)، الأمر الذي يعكس الاهتمام بالعنصر النسائي في التخطيط المكاني والمعماري لمدينة فاس. مهما يكن من أمر، فأدرجنا هذا الموضوع في ضمن الحياة الفكرية في الساحة المعمارية والاهتمام بالمتطلبات النسائية في العهد الإدريسي من باب التسامح والتساهل.

٦. الحياة الفكرية في الساحة السياسية

١.٦. إبداء الرأي وتقديم الاستشارة في الشؤون السياسية

إن السياسة على علاقة وطيدة مع مؤسسة السلطة والقوة. في هذه الأثناء، أن الفكر الذي يستطيع أن يترك أثرا مباشرا على معادلات القوة، يحظى بمكانة خاصة في ميدان السياسة، ويسهم إسهاما معنيا في سائر الميادين الأخرى. تروي كتب التاريخ أن كنزة، زوجة مؤسس

الدولة الإدريسية وأم إدريس الثاني، كانت أول امرأة مغربية مسلمة تولت سدة الحكم، وساهمت بإخلاص في ذود الدولة الإدريسية عن كيد الأعداء ومؤامرات الأقرباء، وألحت على توفير كل متطلبات الأمن والاستقرار والتوسع (السائح، ١٤٠٦هـ، ص ١٦٢). يحكي المؤرخون أن إدريس الأول، واضع أساس الدولة الإدريسية، ما كان يتخذ قرارا دون التشاور مع هذه المرأة (المصدر نفسه).

زيادة على ذلك، فإن كنزة قامت بتقسيم البلاد بين أبناء إدريس وأحفاده وإسناد حكم الولايات إليهم (ابن عذاري، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٢١١؛ إسماعيل، ١٤٠٩هـ، ص ٨٦)، غير أن من الباحثين والدارسين من يروا أن هذا التقسيم، بغض النظر عن آثاره الإيجابية القصيرة المدى، أدى إلى تمزيق الرقعة الإدريسية إلى دويلات، وتسرب الضعف إلى مفاصلها، وضياع هيبتها، وتزعزع أركانها وانهيارها.

٢.٦. تنفيذ فكرة سياسية مسبقة

في أواسط حكم الدولة الإدريسية، واجهت هذه الدولة خطرا جسيما بعد اشتعال نيران ثورة الناس وازدياد السخط العام. في تلك الأيام، ثار عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي على يحيى بن يحيى، واستولى على عدوة القرويين. في خضم الأحداث، قتل يحيى بن يحيى، وسادت الفوضى والاضطراب في المنطقة. في هذه الأثناء، أن زوجة السلطان المقتول، عاتكة بنت علي بن عمر الإدريسي الذي كان حاكما في المناطق الشمالية، كتبت إلى أبيها وأخبرته بالثورة. كانت عاتكة تلحّ على أن الهيبة لن تعود إلى الدولة، حتى يعتلي العرش شخص قوي من السلالة الإدريسية؛ بذلك لعبت دورا بارزا في وصول أبيه إلى دفة الحكم في تلك المنطقة. بعد أن دخل أبوه عدوة القرويين، استطاع بسبب قوته ونفوذه، أن يتولى زمام الحكم، ويعيد الأمن والاستقرار إلى الدولة (ابن عذاري، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٢١٢).

الملحوظة هنا أن عاتكة حين رأت أن الناس العاديين ثاروا بحق على زوجه، وأن نيران الصراعات الداخلية اشتعلت، استدعت أباه كثاني أقوى شخص، حتى يتولى زمام الحكم، ولا تتلاشى هيبة الحكم، ولا تتسرب الفوضى والاضطراب في مفاصله. كان أبوه، علي بن عمر بن إدريس، حاكم بلاد صنهاجة وغمازة، فعندما تلقى رسالة بنتها، جمع قواه، وزحف بجيشه إلى فاس. حين وصل علي بن عمر إلى هذه المدينة، بايعه الناس، وأسندوا شؤون الحكم إليه، وخطب باسمه على منابر المغرب، وعادت الأمور إلى نصابها (السلاوي، د.ت، ج ١، ص ١٤٢؛ المكناسي، ١٩٧٣م، ص ٥٣٤).

دون شك، أن سقوط الحكم في قبضة الثوار، كان يؤدي إلى تلاشي الأمن والاستقرار في البلاد، وتقليل قوتها الرادعة، وزيادة المخاطر، واقتحام الدولة الأموية الأندلسية والفاطمية لها، وكذلك كان يتسبب في أن يعيش الناس العاديون معاناة كبيرة في ظل الظروف الخطيرة التي كانت تمر بها الدولة (ابن أبي زرع، ١٨٤٣م، ج ١، ص ٤٧).

زد على ذلك، أن زواج إحدى بنات إدريس الأول المسماة بعاتكة من أشهر وزراء البلاط، كان من أهم مبادرات النساء في العهد الإدريسي للتحكم الفكري في تسيير الأمور وزيادة ولاء الوزير الإدريسي وخدماته (ابن الأحمر، ١٩٧٢م، ص ١٣).

٧. الموضوعات المقترحة

.انعكاس السيرة النبوية في تصرفات الحكام الأدارسة.

.طريقة الأداء السياسي للمرأة الفاسية في العهد الإدريسي.

.كيفية تفاعل الحكام الأدارسة مع الفرق والجماعات والدول والمذاهب.

.أسباب نمو المساجد وازدهارها في المغرب الإسلامية في القرون الإسلامية العشرة الأولى.

.طريقة استعمال الماء وكيفية إدارته في ظل الدولة الإدريسية.

.خدمات الحكومات الشيعية في المغرب.
.دراسة مصاديق المالكية الفردية في الدولة الإدريسية.
.فوائد انتقال العاصمة: الدولة الإدريسية الشيعية أنموذجا.
.الملامح والميزات الفردية والاجتماعية لإدريس الأول ومنهجه في نشر الإسلام واستقطاب الناس.
.الخصائص الاجتماعية والفكرية والعرفية للبرابرة في العصر الإدريسي.
.ميزات وخصائص مساجد المغرب في القرون الإسلامية العشرة الأولى.
.الأدارسة ودورهم في اتساع رقعة الإسلام والعروبة في المغرب.

الخاتمة

توصلت المقالة إلى ما يلي:

رغم تهميش القضايا المتعلقة بالمرأة في المصادر التاريخية، بيد أن أهمية هذه الدراسات، وخاصة في عصرنا الراهن، تقتضي القيام بإنجاز الدراسات والأبحاث التاريخية، بهدف نقد ودراسة دور المرأة في مختلف التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. نظرا إلى أهمية المباحث والقضايا الفكرية في السنوات الأخيرة، نحو حرية التعبير أو حرية الرأي، فتسعى هذه المحاولة العلمية أن تسلط الضوء على تاريخ الحياة الفكرية للمرأة في إحدى الدول الشيعية الأولى. لا يخامرنا شك أن استمرار هذه الدراسات فيما يتعلق بالدول الإسلامية الشيعية الأخرى، سيكون قادرا على تقديم مجموعة ضخمة من النتائج والتجارب التاريخية، لكي تكون مرجعا رئيسا لمتخذي القرارات وصناع السياسات في مجال المرأة. تظهر دراسات المرأة في العهد الإدريسي في مختلف الشرائح الاجتماعية، من زوجات رجال الدولة وبناتهم إلى النساء المثقفات

وحتى نساء الطبقات الدنيا، تنوعا ذا معنى في المواقف والأفعال الفكرية. من خلال دراسة وتحليل الحياة الفكرية للمرأة، يمكن الوصول إلى أبعاد متنوعة من حياتها الفكرية في الفترة المدروسة، الأمر الذي يكشف الستار عن مختلف جوانب حياتها السياسية والثقافية والاجتماعية. زيادة على ذلك، أن دراسة بيانات تلك الفترة تساعدنا على فهم كيفية تعامل الآخرين، وخاصة الحكام الأدارسة، مع العنصر النسائي، وكذلك موقف المرأة في الحياة الفكرية في تلك الفترة.

أما خارج بلاط الحكم، فأسهمت النساء المثقفات إسهاما بارزا في ترقية الحياة الفكرية في الفترة المدروسة، مثل فاطمة الفهرية، مؤسسة المساجد والجامعات الكبرى في المغرب. فكرّست هؤلاء النساء ثرواتهن الاقتصادية الهائلة لترقية العلم والثقافة والتعاليم الدينية، ورسمن مستقبلا مشرقا للمغرب. في تلك الحقبة الزمنية، لعبت نساء الطبقة العادية، وحتى الطبقة الاجتماعية الدنيا، دورا فعالا في الساحة الفكرية، وكانت المرأة قوة دافعة لبعض الحركات والسلوكيات الاجتماعية. إضافة إلى ذلك، أن الحياة الفكرية للمرأة كانت لها إسهامات بارزة في مجال الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري وسائر الإنجازات الاقتصادية المتعلقة بهما.

في العهد الإدريسي، ظهرت الحياة الفكرية للمرأة بشكل واضح في مختلف مجالات السياسة، وفن العمارة، والعلم، والاقتصاد، والثقافة العامة. في بعض الحالات، دخلت المرأة الإدريسية ساحة القوة والسلطة بشكل مباشر، وفرضت إرادتها على مؤسسة الحكم، وأحيانا دخلت ساحة الثقافة وجعلت عقيدتها تسود الآخرين، وأحيانا أخرى دخلت ساحة الاقتصاد والتوظيف وريادة الأعمال، وقامت بتنفيذ عقيدتها ورأيها فيها.

زد على ذلك، أظهرت الدراسات الميدانية والأبحاث الأثرية في مجال العمارة الحضرية، أن تمت عدة تغيرات وتطورات بناءة لاحترام وضع المرأة في الفترة المدروسة. بشكل عام،

أن دراسة بصمات فكر المرأة المسلمة في العهد الإدريسي، تعبر عن أن المرأة لعبت دورا فعالا في الميادين المختلفة، وتركت أثرا مباشرا على المجتمع والدولة الإدريسية بسبب انفتاح الآفاق أمامها.

المصادر والمراجع

أ. العربية

ابن أبي زرع، علي بن عبد الله. (١٨٤٣م). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. تحقيق كارل يوحن تورنبرغ. أوبسالة: دار الطباعة المدرسية.

ابن الأحمر، إسماعيل. (١٩٧٢م). بيوتات فاس الكبرا. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد. (١٩٨٢م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. بيروت: دار الثقافة.

إسماعيل، محمود. (١٤٠٩هـ). الأدارسة في المغرب الأقصى (١٧٢- ٣٧٥هـ): حقائق جديدة. الكويت: مكتبة الفلاح.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين. (د.ت). مقاتل الطالبيين. تحقيق سيد أحمد صقر. بيروت: دار المعرفة.

خزعل، غازي. (١٤٢٢هـ). «دولة الأدارسة». رسالة التقريب. ع ٣.

السائح، الحسن. (١٤٠٦هـ). الحضارة الإسلامية في المغرب. دار البيضاء: الدار الثقافية للنشر.

السلاوي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد. (د.ت). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. بيروت : دار الكتب العلمية.

القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي. (د.ت). نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكتاني، أبو عبد الله محمد بن جعفر. (۱۳۸۵هـ). سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس. بيروت: دار الثقافة.

لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله. (۱۴۲۴هـ). أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام. بيروت: دار الكتب العلمية.

المكناسي، أحمد ابن القاضي. (۱۹۷۳م). جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام بمدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.

نصر الله، سعدون عباس. (۱۴۰۸هـ). دولة الأدارسة في المغرب: العصر الذهبي (۱۷۲. ۲۲۳ هـ / ۷۷۸. ۸۳۵م). بيروت: دار النهضة العربية.

ب. الفارسية

ابن خلدون، أبوزيد عبدالرحمن بن محمد. (۱۳۶۳هـ.ش). العبر: تاريخ ابن خلدون. ترجمه عبدالمحمد آيتی. تهران: وزارت فرهنگ و آموزش عالی، مؤسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگی.

اسكالی، فوزی. (۱۳۷۷هـ.ش). «فاس شهر مولای ادريس دوم». ترجمه ابوالحسن سرو قدم. مجله مشكوه. ش ۵۹. ص ۲۵۳ ـ ۲۶۵.

برنجی، شينا. (۱۳۹۶هـ.ش). «گونه‌شناسی فضاهای باز عمومی مدينه در دو شهر فاس و مكناس». فصلنامه هنر و تمدن شرق. س ۵. ش ۱۷. ص ۳ ـ ۱۴.

جان‌احمدی، فاطمه؛ و آرمين دخت امين. (۱۳۹۷هـ.ش). «عوامل جغرافيايی و سياسی مؤثر بر مكان‌گزينی پايتخت ادريسان در فاس». فصلنامه مطالعات تاريخ اسلام. س ۱۰. ش ۳۸. ص ۷. ۴۳.

حاجی قاسمی، طيبه. (۱۳۹۳هـ.ش). بررسی وضعيت سياسی، اقتصادی، اجتماعی و اداری ادريسيان. پايان‌نامه كارشناسی‌ارشد. دانشگاه آزاد اسلامی. واحد شاهرود.

حيدری خراسانی، محمدرضا. (۱۴۰۱هـ.ش). «جايگاه اجتماعی زنان در دوره ادريسيان». فصلنامه فرهنگ پژوهش. د ۱۵. ش ۵۲. ص ۳۵ ـ ۶۴.

دارل، ژنویو؛ و نیکلالاگرانژ. (۱۳۷۶هـ.ش). «مدینه فاس: ساخت آینده برای حفظ گذشته». ترجمه نیکو سرخوش. نشریه پیام یونسکو. ش ۳۱۷. ص ۳۶ ـ ۳۹.

رضانیا، حمیدرضا. (۱۳۹۳هـ.ش). کتاب تفکّر عقلی در کتاب و سنّت. قم: مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی (ص).

مؤنس، حسین. (۱۳۸۴هـ.ش). تاریخ و تمدن مغرب. ترجمه حمیدرضا شیخی. تهران: سمت.

ج. الإنجليزية

غينس للأرقام القياسية

The Guinness Book of Records. (1998).

References

Aṣfahānī, Abū al-Faraj ʿAlī b. al-Ḥusayn al-. n.d. *Maqātil al-ṭālibīn*. Edited by Sayyid Aḥmad Ṣaqr. Beirut: Dār al-Maʿrifa.

Berenji, Shina. 2017. "Gū An investigation into the typology of the Medina public open spaces in Fes and Meknes." *Journal of art and civilization of the Orient* 5, no. 17: 3-14.

Geneviève, Darles and Nicolas Lagrange. 1376 Sh. "Madīna Fās: sākht-i āyandih barāyi ḥifẓ-i guẕashtih." Translated by Nikoo Sarkhosh. *Payām-i UNESCO*, no. 317: 36-39.

Haji Ghasemi, Tayebeh. 1393 Sh. "Barrasī-yi vaẓʿiyat-i siyāsī, iqtiṣādī, ijtimāʿī, va idārī-yi Idrīsiyān." MA diss. Islamic Azad University, Shahrud Branch.

Heidari Khorasani, Mohammadreza. 1401 Sh. "Jāygāh-i ijtimāʿī-yi zanān dar dawri-yi Idrīsiyān." *Farhang-i pazhūhish* 15, no. 52: 35-64.

Ibn Abī Zarʿ, ʿAlī b. ʿAbd Allāh. 1843. *Al-Anīs al-muṭrib bi-rawḍ al-qirṭās fī akhbār mulūk al-maghrib wa-tārīkh madīna Fās*. Edited by Carl Johan Tornberg. Uppsala: Dār al-Ṭibāʿat al-Madrasiyya.

Ibn ʿIdhārī, Abū al-ʿAbbās Aḥmad b. Muḥammad. 1982. *Al-Bayān al-mughrib fī akhbār al-Andulus wa-l-Maghrib*. Beirut: Dār al-Thaqāfa.

Ibn Khaldūn, Abū Zayd ʿAbd al-Raḥmān b. Muḥammad. 1363 Sh. *Al-ʿIbar: tārīkh Ibn Khaldūn*. Translated into Persian by Abdolmohammad Ayati. Tehran: Ministry of Culture and Higher Education, Institute for Cultural Studies and Research.

Ibna al-Aḥmar, Ismāʿīl. 1972. *Buyūtāt Fās al-kubrā*. Rabat: Dār al-Manṣūr li-l-Ṭibāʿa wa-l-Wirāqa.

Iskālī, Fawzī. 1377 Sh. "Fās shahr-i mawlāyi Idrīs Duvum." Translated into Persian by Abolhasan Sarv Moghadam. *Mishkāt*, no. 59: 253-65.

Ismāʿīl, Maḥmūd. 1409 AH. *Al-Adārisa fī al-Maghrib al-aqṣā (172-375 AH): ḥaqāʾiq jadīda*. Kuwait: Maktabat al-Falāḥ.

Janahmadi, Fatemeh and Armin Dokht Amin. 2019. "Geographical and Political Factors Affecting Location of Idrisid Capital in Fes." *A quarterly journal of historical studies of Islam* 10, no. 38: 7-43.

Katānī, Abū ʿAbd Allāh Muḥammad b. Jaʿfar al-. 1385 AH. *Salwat al-anfās wa-muḥādathat al-akyās bi-man uqbir min al-ʿulamāʾ wa-l-ṣulaḥāʾ bi-Fās*. Beirut: Dār al-Thaqāfa.

Khazʿal, Ghāzī. 1422 AH. "Dawlat al-adārisa." *Risālat al-taqrīb*, no. 3.

Lisān al-Dīn b. al-Khaṭīb, Muḥammad b. ʿAbd Allāh. 1424 AH. *Aʿmāl al-aʿlām fī-man būyiʿ qabl al-iḥtilāl min mulūk al-Islām wa-mā yataʿallaq bi-dhālik min al-kalām*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Miknāsī, Aḥmad b. al-Qāḍī al-. 1973. *Jadhwat al-iqtibās fī dhikr man ḥall min al-aʿlām bi-madīna Fās*. Rabat: Dār al-Manṣūr li-l-Ṭibāʿa wa-l-Wirāqa.

Muʾnis, Ḥusayn. 1384 Sh. *Tārīkh va tamaddun-i Maghrib*. Translated into Persian by Hamidreza Sheikhi. Tehran: SAMT.

Naṣr Allāh, Saʿdūn ʿAbbās. 1408 AH. *Dawlat al-adārisa fī al-Maghrib: al-ʿaṣr al-dhahabī (172-223 AH/778-835 CE)*. Beirut: Dār al-Nahḍat al-ʿArabiyya.

Qalqashandī, Abū al-ʿAbbās Shihāb al-Dīn Aḥmad b. ʿAlī al-. n.d. *Nihāyat al-arab fī maʿrifa ansāb al-ʿArab*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Rezania, Hamidreza. 1393 Sh. *Tafakkur-i ʿaqlī dar kitāb va sunnat*. Qom: Al-Mustafa International Center for Translation and Publication.

Sāʾiḥ, al-Ḥasan al-. 1406 AH. *Al-Ḥiḍārat al-Islāmiyya fī al-Maghrib*. Casablanca: al-Dār al-Thaqāfiyya li-l-Nashr.

Salāwī, Abū al-ʿAbbās Shihāb al-Dīn Aḥmad b. Khālid al-. n.d. *Al-Istiqṣāʾ li-akhbār duwal al-Maghrib al-aqṣā*. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

The Guinness Book of Records. 1998.